مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

مؤتمر الإسلاميون في العالم العربي والقضية الفلسطينية

2012/11/29م

كلمة الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي د. رمضان عبدالله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، إمام المجاهدين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وبعد،

أيها الإخوة والأخوات

أحييكم جميعاً، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وخير ما أستهل به هو الشكر للإخوة القائمين على هذا المؤتمر المبارك بركة فلسطين. الشكر لإدارة مركز الزيتونة وعلى رأسها الأخ الدكتور محسن صالح، والشكر لكم جميعاً أن عنت لكم فلسطين الكثير فشددتم الرحال إلى هذا المؤتمر.

يتزامن مؤتمركم الموقر هذا مع حدث جليل لم نخرج من أجوائه وعبقه بعد، ألا وهو عبق انتصار المقاومة الفلسطينية وقواها "الإسلامية" في قطاع غزة، هذا الانتصار الذي يحاول البعض أن يجادل فيه ويبخس المقاومة وشعب فلسطين والأمة حقهم، لكننا نقول بكل تواضع وبدون مبالغة، إنه انتصار عظيم له تجلياته الكبيرة التي لا مجال للخوض فيها الآن، ولكنني أؤكد بين يدي مؤتمركم الموقر، أن ما حدث في غزة هو محطة فارقة في تاريخ هذا الصراع مع الكيان الصهيوني. ما بعد هذا الإنتصار شيء وما قبله شيء آخر.

سأحاول أن أقسم حديثي في الوقت المخصص لي إنشاء الله إلى قسمين: الأول، حول عنوان المؤتمر "الإسلاميون والقضية الفلسطينية.." وبملاحظة صغيرة، كنت أتمنى أن يكون العنوان (الإسلاميون وقضية فلسطين) لأن "الفلسطينية" هنا صفة تضفي هوية، وكأن فلسطين قضية وطنية تخص الفلسطينين فقط، ولكننا جميعاً نعلم أنها قضية وطنية عربية إسلامية إنسانية، فالأولى أن نثبت في أدبياتنا "قضية فلسطين" ونقلع عن هذه التسمية التي هي في مقام الوصف لكنها تعطي هوية محدودة فقط. والقسم الثاني عن الثورات في العالم العربي.

أولاً: الإسلاميون وقضية فلسطين:

في القسم الأول "الإسلاميون وقضية فلسطين" سأتحدث في ثلاثة عناوين: الأول، هو ثوابت هذه القضية في نظر الإسلاميين؛ ثم الأهداف والغايات؛ ثم السياسات والبرامج وإدارة هذا الصراع بكل تعقيداته.

1- ثوابت القضية:

فيما يتعلق بالثوابت، يمكن أن نلخص ثوابت قضية فلسطين، من وجهة نظر الإسلاميين وحركة الجهاد كحركة إسلامية مجاهدة، في عبارة واحدة مشهورة، قالها فضيلة الشيخ راشد الغنوشي، وربما جميعنا نحفظها ونرددها وهي "**إن فلسطين آية من الكتاب**" . هذا هو الملخص والمختصر، والقرآن الكريم علمنا الاختصار "إنه من سليمان، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم، أن لا تعلو علي وأتوني مسلمين". اختصار هذه القضية وثوابت الإسلاميين تجاهها هي أنها آية من الكتاب.

في التفصيل، ومن وجهة نظرنا، هناك **ثلاثة محددات** تحكم الموقف الإسلامي من قضية فلسطين. **المحدد العقائدي** بكل جوانبه الإيمانية والقرآنية، **والمحدد التاريخي** بكل ما يحوي من محطات تثبت صلة هذه الأمة بأرض فلسطين، وتدحض كل المزاعم التي أطلقها المشروع الإستعماري الغربي ورأس حربته المشروع الصهيوني، ثم هناك **المحدد الواقعي** الذي يبين ماذا يعني احتلال فلسطين وغيابها عن خريطة الأمة، وماذا يعني حضور هذا الكيان المسمى "إسرائيل" في قلب هذه الخريطة، أي في قلب الأمة وفي هذه المنطقة في العالم.

في تفصيل أكثر، ولا أريد أن اكرر ما سمعتموه، هناك نقاط كثيرة وعديدة مثل:

- فلسطين كلها من النهر إلى البحر أرض عربية إسلامية، وهي جزأ لا يتجزأ من الوطن العربي والإسلامي.
- فلسطين بكاملها أرض مقدسة ومهبط الرسالات ومسرى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السماء، فهي بذلك جزء من عقيدة الأمة.
- شعب فلسطين كله شعب واحد ولا يمكن تجزئته وقسمته في أية ترتيبات سياسية أو أية كيانات. شعب فلسطين ليس شعب الضفة، ولا شعب غزة، ولا شعب نابلس، أو الناصرة، أو مخيمات اللجوء. شعب فلسطين أينما وجد كله شعب واحد، قضيته واحدة، مصيره واحد، وهدفه واحد، وهو تحرير وطنه فلسطين والعودة إليه.
- الكيان المقام على أرض فلسطين "إسرائيل" كيان غازي استعماري باطل، هذه دولة وظيفية استعمارية إحلالية ولا يجوز الاعتراف بها أو بشرعية وجودها ولو على شبر من أرض فلسطين. وطالما أن هذا كيان باطل فإن:
- كل القرارات والمعاهدات والإتفاقات التي صدرت أو أبرمت مع هذا الكيان وتنقص من حقنا في كامل وطننا فلسطين، هي أيضاً باطلة ولا نعترف بها، من قرار تقسيم فلسطين عام 47

إلى اتفاق اوسلو ووادي عربه وكامب دافيد وكل ما ألحق بهذه الإتفاقات، لأن ما بني على باطل فهو باطل.

- قضية فلسطين هي القضية الأولى والمركزية للأمة، فهي قضية كل العرب والمسلمين وليست قضية الفلسطينيين وحدهم.
- القدس بالنسبة لنا هي عنوان هذه القضية ورمز قداستها، وهي كلها، شرقيها وغربيها، أرض عربية إسلامية لا يجوز التفريط في ذرة من ترابها.
- حق العودة أيضاً مقدس، فلا تعويض ولا توطين ولا وطن بديل في أي بقعة من الأرض، أي لا يمكن أن نقبل بأي وطن غير وطننا فلسطين.

ومن الثوابت والمرتكزات، التي أود التأكبد عليها في ظل الثورات العربية هي طبيعة الصراع مع العدو، وما هي اسرائيل وماذا تمثل، خاصة في هذا الظرف؟ هل هو مجرد صراع على الأرض رغم محوريتها وقداستها، أو على الكسور العشرية من هذه الأرض في غزة والضفة الغربية (أ) و(ب) و(ج) وغيرها مما نص عليه اتفاق أوسلو، أم ماذا يعني لنا الصراع على فلسطين؟ هذه مسألة حساسة وثابت أساسي من ثوابت هذه القضية بنظرنا. بإيجاز نقول:

- هذا صراع حضاري شامل بكل ابعاده وبكل مكوناته العقدية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والإستراتيجية والإنسانية وغيرها. وكما تعلمنا منذ الصغر، هذا صراع وجود لا صراع حدود، أن نكون أو لا نكون، هذا صراع على التاريخ والجغرافيا، وعلى الدور والمكانة في العالم. إن الهجمة الغربية الحديثة منذ الحملة الفرنسية إلى اليوم، كما نعلم، كان لها أكثر من عنوان وأكثر من سلاح، وزرع إسرائيل كان أخطر سلاح. فإسرائيل هي رأس حربه الاستعمار الغربي في قلب الأمة، فلسطين، بما تمثله في الجغرافيا والتاريخ، وبما هي عازل ما بين بلاد الشام ومصر. هذه البلاد إذا فصلها حاجز كالكيان الصهيوني رأينا كيف يصبح حال الأمة؟ ثم هناك التجزئة حيث تعتبر إسرائيل في هذه المنطقة الوجه الأخر لتفتيت وتقسيم وإضعاف هذه الأمة. الحديث عن التقسيم والتجزئة اليوم يلزمنا كي نطلق جرس الإنذار والتحذير من تفتيت المفتت وتقسيم المقسم وتجزئة المجزأ. هذا الأمر الذي يهجم علينا في هذه المرحلة كجزء من برنامج جديد بإيقاعات جديدة ضد هذه الأمة لتسقط في مستنقع الصراع بين مكوناتها الوطنية والقومية والمذهبية وغيرها، ثم هناك سلاح التغريب وطمس الهوية وتغييب البعد الإسلامي والعقائدي حتى تنقطع صلة الأمة بفلسطين. وحول هذه الصلة، شتان بين أن نبحث عن مسوغات وعن فلسفة الأمور لنثبت حقنا في وطننا فلسطين، وبين أن

تكون فلسطين "**آية من الكتاب**" نتلوها كل يوم "**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**" عندما ترتبط فلسطين بمكة المكرمة، وعندما يرتبط المسجد الأقصى بالبيت الحرام، فمن ذا الذي يستطيع أن يقطع هذا الحبل الذي وصله الله؟! كل من يفكر بالتخلي عن فلسطين وقطع هذا الحبل الإلهي الواصل بين مهبط الوحي ومنشأ الرسالة وبين منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، فلسطين، سيقطع الله أوصاله في هذه الأرض، ولن يقوم ولن يدوم له أي كيان في هذه الأمة وفي هذا العالم. هذا الرباط رباط فلسطين بالأمة هو رباط إلهي لا يمكن أن نفرط فيه بأي حال من الأحوال. ثم هناك مسألة التبعية حتى تبقى الأمة مرتبطة بهذه القاطرة الغربية، التي زرعت اسرائيل، وتحميها وتدافع عنها، وتعطي لها شرعية في كل محطة بحجة الدفاع عن النفس أن تذبحنا وتقتلنا كل يوم، إذاً المسألة ليست مسألة أرض فقط، 27 ألف كيلو متر مربع أو أكثر قليلاً، لشعب مظلوم ومستضعف يجب نصرته، لا، فلسطين في الاستراتيجيا، في الحضارة، في التاريخ، في السياسة، في كل شيء، تعني الكثير، وعلى الأمة أن تدرك أننا عندما نقول إن من ثوابتنا، فلسطين قضية مركزية للأمة، فنحن لا نطالب أحداً بأن يترك تدبير معاشه وشؤونه ويتبنى تدبير معاش وشؤون الشعب الفلسطيني المحاصر. لا، مركزية فلسطين وأولويتها تعني أنه لا نهضة، لا مشروع نهوض يمكن أن ينجح، أو تقوم لهذه الأمة قائمة، أو يكون لها حرية حقيقية، أو استقلال حقيقي، طالما أن هذا الكيان الذي زرع لإضعاف الأمة ولتفتيتها وتجزئتها موجود على هذه الخريطة. هكذا يجب أن نفهم هذه الثوابت والمحددات.

إذا انتقلنا الآن من هذه الخلفية، التي قد تبدو في نظر البعض خلفية أيديولوجية، وفي عصر نهاية الأيديولوجية كما يقولون، هذا الكلام قد لا يحب بعض الناس سماعه في هذا الزمن، لكن أقول لكم هذه هي الثقافة التي رضعها وتربى عليها أبناؤكم الذين وقفوا في غزة، وقبل ذلك في لبنان، بلحمهم ودمهم، أمام جبروت الآله العسكرية الصهيونية، التي هي بمقاييس دولة عظمى تسمى إسرائيل. بهذه العقيدة حققت غزة معجزة الانتصار. إسرائيل، عندما أخذت قيادتها الحمقاء قراراً باغتيال الشهيد أحمد الجعبري رحمه الله، أخطأت في قراءة المقاومة، وأخطأت في قراءة الشعب الفلسطيني، وأخطأت في قراءة هذه الأمة التي أنجبت هؤلاء المقاومين. لماذا؟ لأنهم كانوا يظنون أن الدم الفلسطيني، وكما تعودوا، سيكون ورقة رابحة في صناديق الإقتراع الصهيوني، وإذا بهم يذهبون إلى هذه الصناديق وقد جلبوا عار قصف مدينة تل أبيب لأول مرة في تاريخ هذا الصراع، ليس من دول على مسافات بعيدة، بل من على أرض فلسطين. من كان يظن أن فلسطين

ما زالت حية وقادرة على أن تضرب مغتصبها، الكيان الصهيوني في عمقه ورمز غطرسته. هذه هي قيمة ما جرى في غزة ومعناه في هذا الظرق.

2-الأهداف:

فيما يتعلق بالأهداف، بكلمة واحدة، وحتى لا أطيل، كل العالم يعرف، ولا يملك أحد أن يزايد على الإسلاميين أو غيرهم من الوطنيين والقوميين المتمسكين بثوابت هذه الأمة، وحقنا الكامل في فلسطين، أن الهدف هو "**تحرير فلسطين كل فلسطين**". هدف سهل، ولكن الصعوبة هي عندما يقول لك الناس: كيف ستحققون هذا الهدف؟ أنتم تتحدثون عن تحرير فلسطين، هل أنتم مجانين؟ هل يستطيع أحد أن يواجه هذا الكيان؟ إنه مدعوم بترسانة نووية ويدعمه الغرب وأمريكا وكل العالم! نقول نعم، إذا كنا لا نملك أن نحرر فلسطين اليوم، فالله سبحانه وتعالى وضع لنا العلاج والوصفة، "**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**". وأعدوا لهم، هذا هو البرنامج والمفتاح لمشروع التحرير. الإعداد الدؤوب الذي مارسه إخوانكم في غزة. أين كنا في 2008-2009، وأين صرنا في 2012؟ القوة لن تأتي فجأة، لم تمطر السماء علينا لا صواريخ غراد ولا كورنيت ولا أربيجيات ولا مضادات طيران، هذا جاء بفضل الله، ثم الجهد الدؤوب والمتواصل للمخلصين من أبناء شعبنا وامتنا، من أجل أن تتقوى غزة وأن تكسر هيبة هذا الكيان الذي يأتي إلينا ليستعيد قوة الردع فيعود وقد فقد المزيد من قوة الردع! الإعداد وطول النفس والاستعداد هو الحل. المطلوب هو أن يبقى باب الصراع مفتوحاً إلى أن يهيىء الله لهذه الأمة أمر رشد يعيدها إلى مسرح التاريخ، حتى يصبح لها وزن وثقل، والأمة ليست ضعيفة، الأمة تملك كل المقومات التي تستطيع أن تستعيد بها وزنها وثقلها على خريطة العالم وأن تستعيد فلسطين، وإلى جانب الإعداد يجب تقديم كل الدعم والإسناد للمقاومة التي تخوض المعركة نيابة عن الأمة. المقاومة تخوض حرب استنزاف إلى أن تخوض الأمة المعركة الحاسمة لتحقيق هدف "التحرير"، وهو هدف مشروع وممكن، بل هو واجب وفريضة شرعية ووطنية وقومية وإنسانية وأخلاقية، واجب لا يمكن أن بسقط أو يتغير حسب الزمان والمكان أو حسب الظروف. إذا قلنا إن "**فلسطين آية من الكتاب**" فقد انتهى عصر التنزيل، لن ينزل قرآن جديد ينسخ جزءاً من هذه الآية، ويقول خذوا لكم مترين من فلسطين، لأن ثمانين بالمئة من أرض فلسطين نسخت في أوسلو. لا نعترف بأوسلو، وإذا كانت فلسطين بالنسبة لنا آية من الكتاب، فلن نتنازل عن حرف من هذه الآية، أي لن نتنازل عن شبر من هذه الأرض.

3- الوسائل:

العنوان الثالث، ما هي الوسائل والسياسات والبرامج التي يمكن أن توصلنا إلى تحقيق هدف التحرير؟ الواجب، وفي عقيدة الإسلاميين على وجه الخصوص، الجهاد هو الوسيلة القادرة على تحقيق هذا الهدف. هذا هو الطريق الموجود في كتاب ربنا وسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. والحكم الشرعي معروف لنا جميعاً، إذا نزل العدو بأرض أو بلد من بلاد المسلمين يصبح الجهاد فرض عين على أهلها حتى يدفعوا العدوان. وإن لم يستطيعوا فالذين يلونهم ثم الذين يلونهم إلى أن يشمل هذا كل المسلمين حتى تتحقق الاستطاعة والكفاية، ويتم دحر العدوان أو دفعه. لذلك الجهاد في فلسطين فرض عين، وهو جهاد دفع لأننا في حالة الدفاع عن النفس، لم نحتل لهم أرضاً ولم نغزوا لهم وطناً، هم جاؤونا من وراء البحار ومن آخر في العالم وأخرجونا من أرضنا بقوة السلاح والإرهاب. لذلك الرد الطبيعي الذي كفلته لنا كل الشرائع والمواثيق السماوية والأرضية هو طريق الجهاد والمقاومة، وهو ليس مجرد خيار أو حق لنا بل هو واجب كما قلنا.

المرحلية في النضال:

يبقى سؤال مهم: هل نستطيع أن نُمرحِل نضالنا وجهادنا؟ وهل نستطيع أن نتعاطى السياسة، وبأي قدر ومن أي نوع؟ أقول نعم يمكن أن يكون هناك مراحل، ويمكن أن يكون هناك خطوات متزامنة، بأن نتعاطى السياسة التي تخدم المقاومة وتحميها وتحمي إنجازاتها، ولكن هنا أود الإشارة إلى بعض الملاحظات منها أن التعاطي مع السياسة الفلسطينية اليوم يتم تحت مظلة عملية التسوية باعتبارها كما يقول الغربيون the only game in town اللعبة الوحيدة المتاحة، هذا أمر فرضته أمريكا ومن صمموا عملية التسوية لتصفية قضية فلسطين. لكننا فرضنا ميداناً آخر إسمه ميدان المقاومة التي تسترد الحقوق بالجهاد وقوة السلاح. نحن جربنا البرنامج المرحلي من عام 1974 ومنظمة التحرير قبلت بل أعلنت الإستقلال في عام 1988 والآن نحن ذاهبون لنأخذ دولة بصفة مراقب مع أننا احتفلنا في 1988 بدولة كاملة بإعتبار أننا نلنا الاستقلال على الورق طبعاً، وبعد ذلك وقعت اتفاق أوسلون فماذا كانت النتيجة؟!

إخوتي وأخواتي الأعزاء، لن يولد الفلسطيني الذي يمكن أن يقدم لإسرائيل تنازلات أكثر مما قدمت السلطة ومنظمة التحرير ضمن إتفاق أسلو، حتى قطاع غزة والضفة، جعلوها أراضٍ متنازع عليها بعد التفريط في ثمانين بالمئة من أرض فلسطين. إذاً، وكما قلت لصحفية أجنبية سألتني قبل أيام، هل تقبلون بدولة فلسطينية في حدود 67؟ قلت الفلسطينيون طرحوا هذا من سنين ووقعوا على اتفاقات ليأتوا بهذه الدولة، ماذا كانت النتيجة؟ صفر بالكامل؟ لا تسألونا نحن عما نقدم وما لدينا من عرض للمحتل الذي يذبحنا ويحتل أرضنا، اسألوهم هم ماذا عندهم للفلسطيني

غير الإحتلال والقمع والقتل والدمار؟ نحن لسنا مطالبين بأن نقدم أوراق اعتمادنا لأحد في هذا العالم، حتى يظن أننا فعلاً نستحق أن نعطى شيئاً من حقوقنا، جربنا هذا عبر منظمة التحرير ولم نفلح، فلماذا نعيد الفشل؟ فلسطين أرضنا وحقنا وحتى نحافظ على هذا الحق مقدساً في روح وضمير الأمة يكفي، يكفي ما قدمته منظمة التحرير، ويكفي إصرار السلطة وتمسكها بالوهم. السلطة اليوم أصبحت مظلة يتمسح العدو بوجودها ليقول إن هناك عملية سلام لا تزال موجودة، ولنعرف فداحة وخطورة هذه المظلة علينا أن ننظر إلى العلاقة بين السلطة وإسرائيل. هناك أربعة عناوين نذكرها بسرعة، وكما تؤكدها مصادر السلطة: **سياسياً**، المحصلة في المفاوضات صفر بل مزيد من الاستيطان والتهويد. **اقتصادياً**، إسرائيل تصدر لنا ما تريد وتأخذ أفضل ما عندنا لتحقيق مصلحتها، **خدماتياً**، هي تعطينا كمية من كهرباء ندفع ثمنها من الجمارك والضرائب التي تقتطعها، ثم تسرق مياهنا وتبيعها علينا، ثم **أمنياً**، يصرون أن يبقى ما يسمى بالتنسيق الأمني قائماً في كل الظروف حتى يتحول الفلسطيني إلى شرطي يقمع شعبه وتتحول السلطة إلى ثكنة تحمي أمن إسرائيل.

إذاً، لم يعد هناك أي رهان على التسوية وعلى المفاوضات، المشروع الوطني الفلسطيني الذي تم تعريفه من سنين بأنه يتمثل في إقامة دولة فلسطينية على حدود سبعة وستين انتهى، عندما أخذ لنفسه طريق المفاوضات، وجعل الولايات المتحدة هي المرجعية والخصم والحكم في آن! هذا حتى لو اعترف العالم بفلسطين كدولة مراقب في الأمم المتحدة في حدود سبعة وستين، فما قيمة هذا الاعتراف على أرض الواقع مع كل ما يتضمنه من تنازل؟ لن يغير شيئاً، هذا قد يحمي حل الدولتين القائم على الاعتراف بإسرائيل من الانهيار، وليقطع الطريق على أي حل آخر، لكن لن يقيم دولة فلسطينية على أرض الواقع مهما كان حجمها. من هنا، ليس أمامنا إلا أن تعود فلسطين في برامجنا وفي سياساتنا وفي استراتيجياتنا، كاملة من النهر إلى البحر، ولا مركب ولا طريق يمكن أن يوصلنا إلى فلسطين، إلى حيفا، إلى يافا، إلى القدس إلا المقاومة، كما وصلت الصواريخ إلى قلب تل أبيب والقدس في حرب غزة الأخيرة.

ثانياً: الثورات في العالم العربي:

القسم الثاني والأخير من حديثي هو حول ما يسمى اليوم بالربيع العربي، وأقول ما يسمى، لأن التسمية ليست من عندنا بل من الغرب. هذه الثورات المباركة نحن أسعد الناس بها لأننا على مدار عقود، قاتلنا هذا العدو على أرض فلسطين بأقل الإمكانات، وكنا دائماً نحتفظ بمقولة أننا نعبر عن خيارات الشعوب بعيداً عن ضرورات الأنظمة كما يقال، مع أننا لا نعترف بأن هناك

ضرورات تبيح الاعتراف بإسرائيل، لذلك نحن نقول حسابات الأنظمة. نعم، كنا دائماً ولا زلنا وحتى هذه اللحظة نعبر عن خيارات الشعوب وضميرها، فنحن أسعد الناس بأن تنال الشعوب حريتها، لأن حرية الإنسان هي المقدمة الحقيقية لتحرير الأرض والأوطان. ولكن في عجالة، وطالما أن الأمور في المنطقة أصبحت في حالة سيولة، وكلنا يتابع ما يجرى الآن في مصر مثلاً وفي أماكن أخرى من العالم العربي، وما يدور من صراعات وشد وتجاذب كبيرين، أود أن ألفت الإنتباه إلى بعض السمات لهذا الربيع في علاقته بفلسطين.

السمة الأولى: هناك انشغال بالشأن الداخلي، وهذا من حق الشعوب، ومهمتها بأن تعيد ترتيب شؤونها بعد ما تعرضت له من استبداد وقمع وحالة تجريف شاملة تعرضت لها أوطاننا في ظل الدكتاتورية والاستبداد، نحن نعذر حالة الانشغال بالشأن الداخلي لكنه الأولوية الكبرى والمطلقة اليوم في كل بلد من بلدان الربيع العربي.

السمة الثانية: أن فلسطين حاضرة عاطفياً ورأينا ذلك مؤخراً، فالشعوب تسمرت أمام التلفاز ليل نهار تشاهد ما يجرى في غزة، وهذا يؤكد موقع فلسطين في قلب وعاطفة وعقل وضمير هذه الشعوب، لكن أقولها أيضاً، من باب الصراحة ومن باب الانتباه، فلسطين ليست حاضرة كأولوية في البرنامج العملي اليوم، أو مزاحه جانباً، إلى أن نتفرغ من همومنا الداخلية. همومنا الداخلية لن تنتهي، يا إخوان، وإذا استغرقتنا بالكامل قتلتنا فضعنا وضاعت فلسطين إلى غير رجعة. يجب أن يكون هناك نصيب لفلسطين، وهنا أود أن أشير إلى مصر. مصر تغيرت، ومصر وقفت معنا في هذا العدوان الأخير، وأشرنا أنا وأخي أبو الوليد في المؤتمر الصحفي إلى ما جرى في المفاوضات. قاتلنا بشرف على الأرض وفاوضنا بشرف، وليت الآخرين فعلوا ذلك في كل ما نسب لفلسطين من مفاوضات. لقد استطعنا أن نفرض على إسرائيل ما لا ترضاه، وحققنا مكاسب لشعبنا ومقاومتنا وأهلنا في غزة، ولكن البعض في مصر للأسف يذهب في غير اتجاه. هناك بعض الأبواق التي تشكك في المقارمة وتشكك في من يقود مصر وتشكك في شعب مصر وتشكك في ثورة مصر وروح مصر وخيارات مصر، يقولون قطاع غزة عبء على المصريين، وما يجري في سيناء بسبب الفلسطينين، لا يا إخوان، أنا أقول سيناء أكثر من 60 ألف كيلومتر مربع لا يقطنها سوى ما يقرب من 500 ألف نسمة، أي أنها صحراء شبه خالية، لم تستطع مصر وبسبب إتفاق كامب ديفيد وما أملي على مصر من شروط أن يكون لها قوة عسكرية حقيقية في سيناء، كما أنها لم تجعل من سيناء حاجزاً بشرياً وعمرانياً أو كتله حضارية تصد أي هجوم إسرائيلي عن عمق مصر على ضفاف النيل وفي صحرائها. اليوم جيب صغير إسمه قطاع غزة

يقف حاجزاً بشرياً في وجه هذا الكيان ليحمي مصر ومن خلفها سيناء. إذا فكر أحد أو تحدث عن مراجعة اتفاق كامب ديفيد أو معاهدة الصلح، يقولون إن إسرائيل ستعيد احتلال سيناء! أنا أقول لهم إنتهى هذا الزمن الذي يمكن أن تعيد فيه إسرائيل احتلال سيناء، وأرجوا أن ينتبه إخواننا جميعاً في مصر لذلك. عندما تستطيع إسرائيل إعادة احتلال بيت حانون ورفح ودير البلح وغزة وجباليا، عندما تستطيع إعادة احتلال قطاع غزة عندها حدثونا عن احتلال سيناء. من حيث القوة والقدرة العسكرية هي تستطيع ذلك لكن بأي ثمن؟ لو كانت تتحمل إدامة احتلال قطاع غزة لما خرجت منه. هذا هو معنى قطاع غزة اليوم في الإستراتيجيا وفي النظرة التي نتعاطى فيها مع هذا الكيان وكيف ننظر إليه؟ نعم نحن ندرك الخلل في موازين القوة، وليس لدينا أي وهم، لكن إسرائيل اليوم ليست هي إسرائيل عام 1967 والشعب الفلسطيني ليس هو شعب فلسطين في ذلك التاريخ.

السمة الثالثة: إضافة إلى تغييب فلسطين كأولوية عملية، هناك تأكيد على تثبيت المعاهدات مع إسرائيل. نحن لا نطالب أحداً بأن يلغي المعاهدات ويدخل حرباً الآن، لكن نقول خففوا من التأكيد على أننا ملتزمون بكل الإتفاقات الموقعة مع إسرائيل، فهي ليست قرآناً. هذه اتفاقات مجحفة وظالمة وقعت في زمن ضعف وفي ظل ميزان قوه مختل. يجب أن لا نقفل الباب في وجه الشعوب على أن تراجع هذه الإتفاقات وأن تستعيد ما فقدت فيها من مقدرات وقوة هذه الأمة.

السمة الرابعة: في هذا المشهد هناك محاولة في المنطقة لخلق عدو جديد للأمة. إسرائيل تبقى الاتفاقات معها، لكن هناك عدواً جديداً وبديلاً يطرح في المنطقة، وهنا أرجو أن يتحمل البعض صراحتي، العدو الجديد الذي يراد تسويقه للأمة هي إيران. يا إخوان، قد نختلف وقد نتفق مع إيران أو أي دوله في المنطقة، لكن نحن أمة واحدة. بعض الإخوان يقول انتم تتحدثون عن دعم إيران للمقاومة في فلسطين، نعم إيران دعمت وآخرون دعموا، ومن يعتب علينا يجب أن يقدم الدعم أولاً، أي أن يقوم بالواجب ثم يعاتب، يعني لا يجوز لمن قصّر أن يتهم أو يعاتب من يدعم ويقوم بالواجب " **ولا يجرمنكم شنئآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى** " هذا هو المعيار وهذا هو الميزان، ثم إننا هنا نسأل: الأمة في بعض الأقطار إستعانت بالحلف الأطلسي أو الناتو في مواجهة الإستبداد للتخلص من الطغيان، هل يجوز الاستعانة بالحلف الأطلسي للتخلص من الاستبداد والدكتاتوريات ولا يجوز الإستعانة بإيران للتخلص من الإحتلال الصهيوني لفلسطين؟! أظن هذه مفارقة صعبة! أسوقها لأؤكد أن العدو الوحيد لنا في هذه المنطقة هي إسرائيل، وهي عدو للأمة كلها، وهي كيان دخيل وغريب وإلى زوال.

السمة الخامسة: هناك حالة إستقطاب كبيرة تجري في مجتمعاتنا في ظل الثورات. أول استقطاب هو بين الإسلاميين وغير الإسلاميين. هناك حالة استقطاب شديدة إن لم تنتبه الأمة لما يحاك ويدبر لها، بأن ينشغل الليبرالي أو العلماني أو اليساري بالإسلامي أو العكس وندخل في صراع، فستضيع هذه الثورات، وستبدد دماء الشهداء وسينتصر الأعداء مجدداً ويعودون ووكلاؤهم في هذه الأمة ليركبوا ظهر هذه الشعوب من جديد، أمام حالة الاستقطاب لا بد ان نتعلم كيف نبني أوطاننا وكيف نتشارك في إدارة هذه الأوطان، كل القوى، إسلامية وغير إسلامية، وكل مكونات هذه المجتمعات والدول، يجب أن تشارك في إعادة البناء والنهوض.

الاستقطاب الأخر والحاد أيضاً هو استقطاب إسلامي إسلامي، أحياناً استقطاب سلفي سلفي، وأحياناً سلفي إخواني، وأحياناً سلفي صوفي، وهكذا. كل هذه التجاذبات والنزاعات لا تخدم لا ثورات ولا ربيع عربي، ولا تخدم الأمة بأي حال. يجب أن نبحث عن القواسم المشتركة حتى نعززها ولا ننزلق إلى المربعات التي يريد أن يسحبنا إليها العدو، نتناحر، نتقاتل، ننشغل بإثبات ذواتنا على حساب القضايا المصيرية لهذه الأمة.

هذه بعض السمات التي أردت أن أشير إليها، لكن في القلب تبقى فلسطين من هذه الأمة في المركز، ويجب فعلاً أن تبقى فلسطين هي القضية المركزية والأولى للأمة، لأن بقاء إسرائيل على هذه الخريطة سيظل عائقاً ومعطلاً لأية نهضة ولأية عوده لهذه الأمة على مسرح التاريخ، هذا ما أردت أن أحدثكم به اليوم، وأعتذر للإطالة، بارك الله بكم، وأتمنى لمؤتمركم هذا كل التوفيق والنجاح، ونحن بحاجة إلى ما سيصدر عنه حتى يسدد مسيرتنا ويعزز مسيرة المقاومة المباركة في فلسطين، وفقكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله.